الصقعاء

مدينة أثرية

للدكتور: سعد عبد العزيز الراشد

منظر عام لموقع الصقعاء الاثرى جنوب الماوية (جبل الماوان)

الصقعاء هو اسم حديث لموقع أثري يقع على بعد ١٩ ـ ٢٠ كيلو مترا الى الجنوب من جبل الماوان أو من الماوية ، هجرة أسفل الجبل ، والصقعاء هذه هي احدى المواقع الاثرية المهمة التي قامت بعثة من قسم التاريخ والآثار بجامعة الرياض بزيارتها وتسجيل معالمها الأثرية (١) وهذه المواقع الاثرية كانت أصلا مدنا ومحطات للاستراحة للحجاج والمسافرين القادمين الى مكة المكرمة من العراق ، وبالعكس •

واسماء هذه المواقع الاثرية الهامة هي كالتالي :

- آثار البعايث
- آثار سناف اللحم
- الحميمة
- آثار النقرة
- آثار الجفنية

آ الماوان ـ (الماوية)

- الصقعاء
- بركة أبو سليم (آثار الربذة)
- السليلة
- بركة حمضان
- البريكة (بركة العمق)
- ثم مهد الذهب (٢)

موقع البركة الاولى (المربعة) وحواليها المباني الاثرية

١ ـ الموقع :

تقع الصقعـاء على خط الطول ٢٦َ—٤١° ودائرة عرض ٠١َ—٢٥° تقريبا وكما ذكرنا فان الصقعاء تبعد حوالي ١٩ ـ ٢٠ كم الى الجنوب من الماوية ، كذلك هناك بعض موارد للمياه قريبة منها ، مثل بلغه التي تبعـد حوالي ١٥ كم جنوبا بميل نحو الشرق ·

ويتوسط موقع الصقعاء منخفض (وادي ساحوق) حيث يلتقي مع وادي أبو مغير أو وادي الربثة (٣) واسم الصقعاء هو نسبة الى الجبال أو التلول الجبلية التي تشرف على الموقع من جهة الجنوب ·

٢ ـ آثار الصقعـاء :

تنتشر آثار الصقعاء على مساحة تقرب من كيلو متر مربع واحد · وتتركز التلول الاثرية على المرتفعات الواقعة على الحافة الغربية للموقع وهي

تمثل المباني والقصور . وهناك دلائل على وجود مقر كبير الى الناحية الجنوبية القريبة من الموقع ، وتمتد بقية المباني السكنية باتجاه الوادي ، ويفصل هذه المباني عن التلول الاثرية الطريق الترابي الذي تستخدمه السيارات والذي يخترق المنطقة باتجاه موارد المياه والتجمع السكاني في كل من : بلغه والنغازي وأبو مغير وغيرها . (ونظرا لوجود هذا الطريق البري للسيارات فانه لعب دورا كبيرا في الاضرار بأطلال هذا الموقع وغيره من الآثار الاخرى) .

وتظهر على السطح أسس بعض القصور والبيوت السكنية ، ويمكن تصور مخطط المجمعات السكنية وهي عبارة عن غرف متوسطة الاحجام ولها مداخل وممرات ، ويبلغ سمك جدران هذه المباني حوالي المتر الواحد ، وهي مبنية من الاحجار المحلية ـ النارية والجرانيتية ـ وتكسو الجدران من الداخل طبقة جصية ، وتبدو البيوت السكنية أحيانا على شكل وحدات متصلة أحيانا ومنفصلة أحيانا أخرى ، ولا يمكن تحديد حجم المساحة المسكونة في هذا الموقع الا بعمل مسح أثري مكثف ـ وأملنا أن تصل أعمال المسح التي تقوم بها ادارة الآثار والمتاحف الى نتائج أكثر ايضاحا لمعالم هذا الموقع الاثري .

٣ ـ مصادر المياه القديمة في الصقعاء :

ان من أبرز المعالم الاثرية في الصقعاء هي البرك الآبار القديمة التي لازالت واضحة تنبيء عن صنعة الابداع في البناء والتكنولوجيا في العصور الاسلامية الزاهرة .

أ ـ البركة المربعة :

الى الشرق من التلول الاثرية والمنازل السكنية وفي منخفض من الوادي تقع بركة كبيرة بنيت لخزن مياه الامطار والسيول ، تبلغ مساحة البركة حوالي ٣٠ × ٤٠ متر ، وهي في حالة حسنة وقد بنيت من الحجارة المنقوشة ، لها مصفاة في جزئها الجنوبي ، وللبركة أكتاف داخلية نصف دائرية ودعامات دائرية في كل ركن من أركانها الخارجية . ويبلغ سمك جدار البركة حوالي ١ر٥٠ متر ، ولها مصب لمجرى السيل في الجهة الجنوبية الغربية متصل بمجرى للماء يسنده سد طويل يعدل مجرى مياه الوادي تجاه البركة ، وعمق البركة والمصفاة غير معروف نظرا لكثرة الرمال التي تغطي كل البركة تاركة عمقا يقارب نصف متر والغالب أن العمق الاصلي ربما يصل الى بضعة أمتار ، كما هو المعروف في كثير من برك (درب زبيدة) .

وعلى بضعة أمتار الى الشرق من هذه البركة ، يظهر شكل دائرة كبيرة ربما يكون موضعا لبركة أخرى .

ب ـ الآبار :

بالاضافة للبركة المذكورة ، هناك ثلاث آبار قديمة واحدة منها في حالة حسنة ويستقر في جوفها بعض مياه الامطار ، وبئر أخرى عميقة ولكنها جافة أما الثالثة فهي مدفونة حتى قرب فوهتها ، والآبار الثلاث هذه بنيت بنفس مادة البناء التي بنيت بها البركة ، وتظهر آثار السواني بالقرب من هذه الآبار ، ولا يستبعد أن يكون هناك آبار أخرى في نفس الموقع ، ولكنها دفنت على مر العصور .

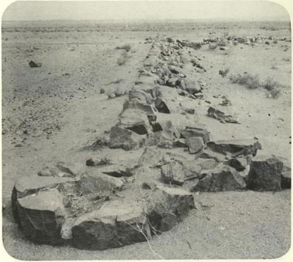

جزء من البركة المربعة بيدوا جوار البركة الخارجي المدعم باكتاف ركنية من الخــارج

ج ـ البركة المدورة :

الى الجنوب من البركة المربعة وعلى مسافة تزيد على الكيلو متر ، تقع بركة دائرة الشكل كبيرة الحجم في مضيق الوادي الذي تحف على جانبيه المرتفعات الجبلية . ويبلغ قطر هذه البركة حوالي ٥٠ م ، وسمك جدارها الخارجي حوالي ٦٠ سم ، ومجرى الماء الى البركة يقع في جزئها الغربي ويلاصق المجرى حوض صغير مستطيل ٦ × ١١ متر ، ربما يكون مصفاة البركة ، ويمتد من المصفاة باتجاه الجنوب الغربي من البركة جدار منحني ولمسافة تقارب نصف الكيل ، حيث ينتهي بحافة تل مرتفع من الناحية الغربية وسمك جدار هذا السد يصل الى ٢ر٨٥ م ، والبقية العظمى حوالي نصف متر ، ولعل طول هذا السد وضخامته يتناسب مع حجم البركة الكبير ، أما

عن كيفية توزيع المياه بين البركة والحوض فمن الصعب تحديده ، اذ أن البركة والمصفاة مدفونتان بالرمال ، ولكن يبدو واضحا أن البركة والسد بحالة حسنة واذا ما أعيد استصلاح البركة والسد فسوف تكون الفائدة كبيرة ·

٤ ـ الملتقطات السطحية :

تنتشر قطع الفخار المتنوعة ، المزجج منها وغير المزجج ، الذي يعود تاريخه الى حوالي القرن ٢ ـ ٣ هـ (٩ ـ ١٠ م) وكذلك بعض القطع الزجاجية التي تعود الى نفس الفترة · كذلك عثر على قطعة عملة يصعب تمييز ما عليها من كتابة ولكن يبدو أنها درهم عباسي على أغلب الظن كذلك يفيد أحد أمراء قبيلة حرب (ناصر بن هاجد بن راجح) بأنه عثر قبل ١٢ عاما في موقع الصقعاء على حجر كبير عليه كتابة من الجانبين ، ولكن الشخص الذي وجد هذا الحجر قام بدفنه في نفس الموقع الاثري خشية أن تصل اليه يد البطش ، ولا شك أن أعمال الحفر الاثرية جديرة بالكشف عن كثير من آثار هذه المنطقة ·

٥ ـ تحقيق الموقع جغرافيا :

لم يعن لأحد من المهتمين بآثار المملكة أن يسجل شيئا عن آثار الصقعاء أو عن تحقيق موضوعها من الناحية الجغرافية قديما ، ولم يشر الباحث والعلامة الشيخ حمد الجاسر الى آثار الصقعاء في رحلته الاستقصائية لمعالم (درب زبيدة) ، التي قام بها في شهر ربيع الاول ١٥ ـ ١٦ ـ ١٣٩٥ هـ ولكنه وقف على آثار الربذة (٤) · كذلك لم يذكر الاستاذ الفاضل محمد العبودي هذا الموقع ، حينما استعرض منازل الطريق من النقرة حتى الربذة (٥) ويبدو أن رحلة أستاذنا الشيخ حمد الجاسر والباحث محمد العبودي كان الهدف منها هو الوقوف على آثار الربذة دون غيرها ، وأضيف هنا بأني وقفت على موقعين قديمين مابين الصقعاء وبركة أبو سليم (الربذة) الاول يسمى أم جثجات على بعد ١٣ كم من الصقعاء جنوبا وفيه بركة مندفنة ، وبعدها بحوالي ٨ كم موقع يسمى (القليب) فيه بركة أيضا تشير الخارطة الجغرافية للمملكة الى وجود رمز (٦) لبركة قديمة على درب زبيدة الى الجنوب من جبل الماوان

وقد سبق أن أشرت في بحثي عن تاريخ وآثار درب زبيدة بأن موقع هذه البركة المشار اليه في الخارطة المذكورة ، ربما يكون موضع (المتعشى) الواقع بين مغيثة الماوان (الماوية) والربذة (٧) واسم المتعشى هذا ذكره كل من ابن رستة وابن خرداذبه ، وصاحب (كتاب المناسك) ، ولكن باختلاف في المسمى . فقد جعل ابن رسته المسافة بين مغيثة الماوان والربذة ٢٤ ميلا ، والمتعشى وهو محطة الاستراحة بين المحطتين الرئيسيتين ، فقد وضعها ابن رستة على بعد ١٤ ميل ، وذكرها باسم (أورعه) (٨) . أما ابن خرداذبه فقد ذكر نفس المسافات التي وضعها ابن رسته ، غير أن اسم (أورعه) أصبح (أديمه) (٩) وقد أورد صاحب كتاب (بلاد العرب) بعض الاعلام الجغرافية القريبة من الماوان ، حيث يذكر . (ومن جبال البيضة أديمه والشقدان) (١٠) وأورد ياقوت ذكر (أديمة) فيقول : (أديمة جبل بين قلهى وتقتد بالحجاز) ، (١١) وذكر البكري اسم (أديمة) في عدة مواضع من كتابه ، فبعد أن ذكر موضع (الرحيضية) بأنها قرية الانصار وبني سليم وهي من نجد الخ .. يقول وهناك واد يقال (ذوورلان) لبني سليم ، فيه قرى كثيرة تنبت النخل ، منها (قلهى) وهي التي تنحى اليها سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان (رضي الله عنه) وتقتد قرية أيضا ، بينها وبين (قلهى) جبل يقال له أديمة .. (١٢) ، ويبدو أن البكري هنا ينقل نفس المعلومات التي ذكرها عرام (١٣) غير أن البكري حرف (الرحيضية) الى « الرحيضة » .

ان أحسن ماذكر عن المتعشى الواقع مابين مغيثة الماوان والربذة ، هو مااورده صاحب كتاب (المناسك) الامام أبو القاسم الحربي ، فقد حدد المسافة من مغيثة الماوان الى الربذة بعشرين ميلا . ويستحسن أن نورد ماذكره الحربي في هذا المجال فيقول :

(والمشرق على جبل يقال له فرعون ، وقبله بركة (زبيدية مدوره يسره على ستة أميال من الماوان بركة تسمى الحبران ، وهي لحماد اليزيدي ، مدوره وهي بين الميل التاسع والعاشر ، وعندها بئر ردية ، وقباب وخزانة لخالصة ، موضع هذه البركة ثلثا طريق الكوفة مكة) .

(وخلفها بركة أخرى على عشرة أميال من الماوان ، تسمى بركة أديمة (١٤) وهي المتعشا ، وتعرف بالكراع ، وأديمة جبل مستدير يمنه الطريق على أرجح من ميل) .

(وقبال المتعشا جبل يقال له سنام)

وبعد اديمة بنحو من أربعة أميال قباب خربة ، ودونها بئر ردية ٠

(ووراء ذلك احساء بموضع يقال له الامعر ، وقبل الربذة بميل بركة ناحية عن الطريق) (١٥)

هذا كل ماذكره الحربي من معلومات هامة عن طريق جادة الحجاج بين الماوان والربذة وما أقيم عليه من انشاءات عمرانية تفيد المسافرين من حجاج وغيرهم ، وعلاوة على ذلك فانه يشير الى أسماء شخصيات اسلامية ساهمت في عمارة طريق الحج ٠

ويمكن أن نتتبع بالتدريج تلك المعلومات الواردة في كتاب (المناسك) وخلاصتها :

اولا ـ فالمسافة التي ذكرها بين الماوان والربذة ، هي ٢٠ ميلا ـ ولذلك لو تتبعنا درب الحج بطريق مستقيم لوجدنا أن المسافة بين المحطتين المذكورتين تزيد على ٣٠ كم وتنقص عن ٤٠ كم ، وهذا يتناسب مع ماذكره الحربي ٠

ثانيا ـ ذكر الحربي وجود أميال بين الماوان والربذة والواقع أن المتتبع لمسالك هذا الدرب توجد بقايا الاميال أو الاعلام القديمة بعضها تهدم ولم يبق منها غير القواعد ، وهذه الاعلام عبارة عن رجوم دائرية مبنية عادة بالاحجار على شكل مخروطي يرتفع الواحد منها الى عدة مترات فوق سطح الارض وعادة تكون هذه الاعلام يسرة على الطريق أو يمنه ، وقد أمكننا الوقوف على ستة أميال (أعلام) بين الماوان والصقعاء ، وهناك مجموعة أعلام تقع على مشارف الصقعاء من الناحية الشمالية . وتختلف المسافة بين هذه الاعلام ولكن على الارجح أنها تصل حوالي ٢ كم بين العلم والعلم ٠ وعلى الطريق من الصقعاء باتجاه بركة أبو سليم (الربذة) أمكن معرفة ستة أعلام بنيت على جانب الطريق على مسافة تقارب ٢٠ كم ٠

ثالثا ـ ذكر الحربي وجود بركتين في موقعين مختلفين بين الماوان والربذة وآثار الصقعاء وما بعدها تتفق مع ماذكره ٠

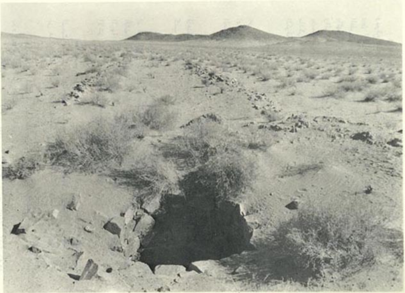

أحد الابار القديمة من الصقعاء وبجوارها أحد الاحواض القديمة

رابعا ـ أشار الحربي الى وجود بركة أديمة نسبة الى جبل مستدير ، وموقع هذه البركة هو المتعشى ـ وحدد الحربي موضع هذه البركة ثلثا الطريق بين الكوفة ومكة وبذلك يعتبر الحربي أول جغرافي يسجل تحديدا لمسافة الطريق ، والمعروف أن (الثعلبية) ذكرها كل من ابن رسته وابن خرداذبه بأنها ثلث الطريق من الكوفة الى مكة (١٦) والمتعارف عليه من قبل الجغرافيين والرحالة العرب أن (فيد) هي منتصف الطريق ، الا أن الحربي يجعل المنصف بضعة أميال من (سميرة) باتجاه الكوفة (١٧) وقد أيدت النقوش الاثرية ماذكره الحربي حين تسجيله المتعشى بين الماوان والربذة هو ثلثي الطريق من الكوفة الى مكة ٠

وكنت قد تناولت هذا الموضوع في بحثي عن درب زبيدة ، في فصل خاص عن الاحجار الميلية ـ أحجار المسافة ـ وذلك بناءا على حجرين ميليين في حوزة ادارة الآثار والمتاحف ـ فأجد هذين الحجرين يشير الى الموقع الذي هو ثلثي الطريق من الكوفة الى مكة (١٨) ٠

خامسا ـ أما صحة الاسم هل هو أريمة (بالراء أم (أديمة) بالدال ؟ فأعتقد أنه تحريف وربما كان (أديمة) بالدال هو الاصح على مايظهر في كتب الجغرافيين المتقدمة الذكر ٠

سادسا ـ أورد الحربي ذكر جبل سنام بعد المتعشى ، وهذا يطابق الواقع اذ أن الجبل لازال معروفا بهذا الاسم ويقع على مسافة حوالي ١٤ كم الى الشمال من الربذة (أبو سليم) بميل نحو الغرب ـ وعلى واجهة الجبل من الجهة الجنوبية توجد بعض الكتابات الكوفية المبكرة ، بعضها مقروْ والبعض الآخر تشوه بسبب تأثر الصخور بعوامل التعرية ٠

سابعا ـ بقي أخيرا أن نعود الى نسبة اسم (الصقعاء) موضوع هذا البحث ، حيث ذكرنا بانه اسم محلي معروف لدى أهل تلك المنطقة القريبين من هذا الموقع الاثري الذي تحيط به جبال قليلة الارتفاع تعرف بهذا الاسم ٠

وأقول ان اسم (الصقعاء ربما تحريف لاسم قديم حيث ذكر صاحب بلاد العرب بيتا من الشعر قال فيه ٠

سقى أمغر الصمعاء والوادي الذي به غابق ما جاور الثغب غابق (١٩)

والامغر يكاد يكون المنهل المسمى اليوم (أبو مغير) الى الشمال الشرقي من (بركة أبو سليم) ، وهو دون العشرة أكيال من البركة (٢٠) أما الصمعاء فربما أن تكون ذات صلة بالصقعاء واحتلف الاسم للتحريف بين (الميم) و (القاف) ، وخلاصة القول أن الصقعاء من المواقع الاثرية المهمة على درب زبيدة ، وأملي أن يقدم قسم الأثار والمتاحف بالكشف السريع عن آثار هذا الموقع الاثري الهام الذي لم يكن في اعتقادي أنه مجرد محطة صغيرة للحجاج ، بل كان مدينة متكاملة ، والجهود متضافرة الأن في تحقخيق الهدف المنشود من دراسة والحفاظ على إثارنا الاسلامية فما أن انتهت بعثة جامعة الرياض من رحلتها الى بعض معالم هذا الطريق حتى أقدمت ادارة الأثار والمتاحف ضمن مشروعها في مسح وتسجيل آثار درب زبيدة على بعث مساحين وفنيين برسم وتصوير آثار هذا الدرب :، من مهد الذهب حتى النقرة ، ونأمل أن تظهر نتائج البحث الاثري لتكون في متناول الباحيثن حتى تعم المعرفة والله ولي التوفيق ·

* * *

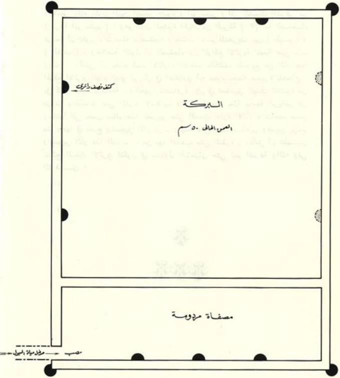
كتف نصف دائري
البركة
العمق الحالي ٥٠ سم
مصفاة مردومة
مصب
مدخل مياه السيول

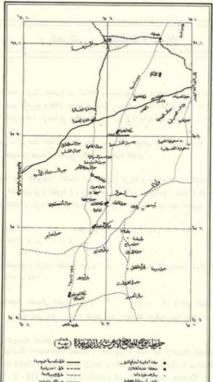
درب زبيدة
مهد الذهب
طريق رئيسية (درب زبيدة)
طرق احتياطية
طرق حديثة معبدة
مسالك ودروب
بقعة أو قرية أو موقع أثري
بركة (عامة أطلال)
شعاب أو جداول قديمة
مقياس الرسم

خريطة توضح المواقع الأثرية لدرب زبيدة (شمال مهد الذهب)

الحواشي والتعليقات والمصادر

(١) تكونت هذه البعثة العلمية من أساتذة وفنيين مختصين في حقل الاثار مع مجموعة من طلاب قسم التاريخ والاثار بجامعة الرياض ـ وكانت تحت اشراف كاتب هذا المقال . وقد استمرت هذه الرحلة في الفترة مابين ٣٠ ـ ٣ ـ ٩٨ هـ وحتى ٩ ـ ٤ ـ ٩٨ هـ .

(٢) سيظهر ـ ان شاء الله ـ تقرير علمي مفصل عن المواقع التي قامت البعثة بزيارتها ضمن مطبوعات جميعات التاريخ والاثار ـ بكلية الاداب ـ

(٣) استقينا هذه المعلومات ، خاصة اسم وادي (الربثة) من امير قبيلة البدارين (من حرب) القاطنين في (الماوية) ، وهو ناصر بن هاجد بن راجح ، ولعل (الربثة) هو تعريف لكلمة (الربذة) وهو الموقع الذي يلي (الصقعاء) من جهة الجنوب .

(٤) انظر حمد الجاسر ، الربذة : تحديد موقعها ، العرب ، جزء ١ ـ ٢ سنة ١٠ ، رجب ـ شعبان ١٣٩٥ هـ ص : ١ ـ ٤ .

(٥) محمد العبودي (الربذة أيضا) العرب ، جزء ٣ ـ ٤ سنة ١١ رمضان شوال ١٣٩٦ هـ ص : ١٦١ ـ ١٦٧ .

(٦) لوحة الحجاز الشمالي الشرقي رقم (B ٠ ٢٠٥ ـ I) التي اصدرتها مصلحة المساحة الامريكية ، ١٩٥٩ كذلك انظر الخارطة المرفقة بهذا المقال .

(٧) انظر اطروحتنا للدكتوراه :

A critical Study of the Pilgrim : Road Between Kufa and Mecca (Darb Zubaydah) with the Aid of field work, (ph. D. Thesis, University of Leeds, 1977) pp. 174 - 5 .

(٨) ابن رسته ، (الاعلاق النفيسة) تحقيق دي خويه ، ليدن ـ ١٨٩٢ م ص ١٧٩ .

(٩) ابن خرداذبه ، (المسالك والممالك) ، تحقيق دي حويه ، ليدن ١٨٨٩ م ، ص ١٣١ .

(١٠) الحسن بن عبد الله الاصفهاني (بلاد العرب) تحقيق . حمد الجاسر وصالح العلي (منشورات دار اليمامة) الطبعة الاولى ـ ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨) ص ١٧٨ .

(١١) ياقوت الحموي (معجم البلدان) . طبعة بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ جـ ١ ص ١٢٧ (مادة الف) .

(١٢) البكري ، أبو عبيد عبد الله ، (معجم مااستعجم) ، ٤ أجزاء تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ١٩٤٩ . ص ١٢٨ ، ٩٠٧ ، ١١٦٤ .

(١٣)عرام بن الاصبغ السلمي ، (كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٧٣ هـ ص ٥٧ ـ ٥٨

(١٤)الامام أبو اسحاق الحربي ، كتاب (المناسك) واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر (منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٢٨٩/١٣٦٩ . ص ٣٢٥ .

(١٥) نفسه ، ص ٣٢٦ .

(١٦) ابن رسته ، ص ١٧٥ ، ابن خرداذبه ، ص ١٢٧ كذلك ، المقدسي (أحسن التقاسم في معرفة الاماكن) تحقيق دى خويه ليدن ١٩٠٦ ، ص ١٠٧ ص ٢٥٤ .

(١٧) الحربي ـ نفسه ، ص ٣١٣ .

(١٨) انظر اطروحتنا للدكتوراه ـ ص ٣١٠ ـ ٣٢٦ .

(١٩) الاصفهاني ـ نفسه ، ص ٢١٤ .

(٢٠) انظر أيضا ماذكره الاستاذ محمد العبودي ـ عن هذا المنهل في مقالتـه عن الربذة ، العرب ، جـ ٣ ـ ٤ ، المرجع السابق ص ١٦٧ .